

حرمة المؤمن وكرامته



«لا شكّ أنّ للمؤمن حرمة عظيمة جعلها الله تعالى له كرامة لإيمانه ولكلمة التوحيد التي نطق به، فميّزته عن الكافرين بأصنافهم.

وكفى للمؤمن عزّاً أنّ يكون الله جلّ جلاله العظيم الجبار وليّاً في تسديده وتأييده. يقول سبحانه في محكم التنزيل: ﴿لِلَّهِ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة / 257).

وبعد ولاية الله للمؤمن، جعل المؤمنين جميعاً أولياء لبعضهم البعض، فهم كالجسد الواحد، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة / 71).

ومن فضله سبحانه، أنّ منّ على المؤمن بأن جعل عزّته من عزّته عزّ وجلّ، وليس وراء هذه الكرامة كرامة. قال جلّ جلاله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون / 8).

وأمر سبحانه بالتواضع بين المؤمنين حبّاً لهم، فقال: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء / 215).

الكرامات الخاصة بالمؤمنين

كما أنّ المؤمن ليس كغيره في عزّته وكرامته وحرّمته وآخرته، كذلك كانت له مزايا وكرامات يختصّ

بها دون غيره من البشر، والمتأمل في شريعة الله تعالى وتفاصيل الأحكام الفقهية يرى أن للمؤمن أحكاماً تخصه في سائر المجالات في الطهارة والزواج والدفن والسلام والمال والحدود وحرمة المال والنفس وقضاء الحاجة، وهذا فضل من الله تعالى.

فهو الذي له شأن عند خالقه، وعند أهل السموات والأرض وتجل له الرحمة بمجرّد أن يتعامل مع الآخرين بصفته الإيمانية.

روى عن أبي عبد الله الصادق (ع) قوله: «إن المؤمن ليزهر نورُهُ لأهل السماء كما تزهر نجومُ السماء لأهل الأرض». وفي نصٍّ أنَّهُ (ع) سُمِعَ يقول: «ليس لأحدٍ على الله ثوابٌ على عمل، إلا للمؤمنين». وفي فضل المؤمنين يقول (ع): «إذا التقى المؤمنان كان بينهما مائةُ رحمة، تسعُ وتسعون لأشدّهما حباً لصاحبه». ويقول (ع): «إن المؤمنَين ليلتقيان فيتصافحان، فلا يزال الله عليهما مقبلاً بوجهه، والذنوب تتحات عن وجوههما حتى يفترقا».

فصح المؤمن وأذيتته يقرب من الكفر

من جملة الكرامات المجعولة للمؤمن عدم جواز التجسس عليه وأذيتته أو فضحه في خصوصياته التي لا يريد لأحدٍ أن يطّلع عليه، لذلك كان الدخول إلى بيت المؤمن أو التصرّف بماله أو أغراضه أو الاطّلاع على حاله بحاجة إلى إذنٍ صريح منه، وإلا حُرِّمَ ذلك. قال الله العزيز الحكيم: وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَِعْضُكُم بَِعْضًا (الحجرات / 12)، وفي النصّ الشريف: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يكون الرجل مواخياً للرجل على الدين، ثم يحفظ زلاته وعثراته ليضعه بها يوماً ما». عن سيّدنا المصطفى (ص) قوله: «ومن عيّر مؤمناً بشيءٍ لم يمت حتى يركبه».

التبرُّؤ من المؤمن يؤدّي إلى الكفر

قضى الله تعالى المحبة والولاية بين المؤمنين، وهذا يبقى ويستمر مهما وقع بينهما من سوء تفاهم أو خلاف... وعلى كلّ حال لا يجوز لمؤمن أن يتبرّأ من رباط الأخوة الذي جعله الله بينهما.

فالمؤمنون أخوة متحابون، أمّا مَنْ اتّهم أخاه بالعداوة، نعوذ بالله تعالى، فهذا معرّضٌ لذهاب إيمانه. يقول الله عزّ ذكره: وَاللَّفَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَفَ بَيْنَهُمْ (الأنفال / 63). ويقول سبحانه: فَأَصْبَحَتْهُمُ بُرُودُهُمْ إِيَّاهُ وَانْزَالًا (آل عمران / 103).

وفي الحديث الشريف: «ما من مؤمنٍ إلا وبينهما حجاب، فإن قال له: لست لي بولي فقد كفر، فإن اتّهمه فقد انماث الإيمان في قلبه، كما ينماث الملح في الماء». وعن أبي عبد الله الصادق (ع): «لو قال الرجل لأخيه أوفٍّ لك، انقطع ما بينهم، قال: فإذا قال له: أنت عدوّي فقد كفر أحدهم، فإن اتّهمه انماث الإيمان في قلبه، كما ينماث الملح في الماء».

من حقّ المؤمن على أخيه النصيحة والنصرة

من الواجب الشرعي نصرته المؤمن عند حاجته لذلك، وعنده، لا يجوز خذلانه أو التغاضي على ما هو فيه وتركه يواجه وحيداً، كذلك تجب النصيحة، ومَنْ أهمل ذلك، تصدّى الله تعالى للانتقام منه جزاءً لإهماله أخيه.

ورد في الحديث الشريف أن النبيّ (ص) سأل ربّه، قال: «يا ربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد، مَنْ أهان لي ولي، فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلى نصرته أوليائي».

عن الإمام الصادق (ع)، قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله عز وجل في الدُّنيا والآخرة». وقال (ع): «أيُّما مؤمن مشى مع أخيه في حاجة ولم يُنصرِحه، فقد خان الله رسوله».

حرمة المؤمن لا توصف

إنَّنا ونحن في هذه الدُّنيا نُقارن آلاء وآلام الآخرة مع المحيط الذي نعيش، فنظن أن عطايا الله مثلا كعطايا ملوك الدُّنيا أو أكثر بقليل، مع أن شيئاً من لذات الآخرة لا يُقاس بكل لذات الدُّنيا.

ومن هذا الباب لا يمكن أن يُقاس ما ذُكر عن كرامة المؤمن في هذا الحديث وفي غيره بأيِّ مقياس أو ميزان.

فالعناية الربانية هي التي تُحكِّمُ الودَّ والمحبة بين المؤمنين، وتُجدِّد عهد الأخوة فيه سبحانه وتعالى. انتهى كلامه، رُفِع في الجنة مقامه.

وفي حرمة المؤمن التي لا توصف ولا يعرف قَدْرُها أحدٌ من البشر، ورد في الحديث الشريف: «إنَّ عزَّ وجلَّ في الأرض حرماً، حرمة كتاب الله، وحرمة رسول الله، وحرمة أهل البيت، وحرمة الكعبة، وحرمة المسلم».

ومضات: الحرمة هي الحقُّ الواجب المراعاة والتعظيم، وهي التحرُّج عن المخالفة والمجاسرة.

قال الله جلَّ جلاله: «وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ» (الحج/30).

نصوص مباركة

نظر النبي (ص) إلى الكعبة فقال:

«مرحباً بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله وإني للمؤمن أعظم حرمةً منك لأنَّ الله عز وجل منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله ودمه وأن يُظنَّ به ظنُّ السوء».

وعنه أيضاً (ص):

«ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله».

«إنَّ المؤمن يُعرف في السماء، كما يُعرف الرجلُ أهله وولده، وإنَّه لأكرم على الله عز وجل من ملائكة مقرَّب».

«إنَّ الله جلَّ ثناؤه يقول: وعزَّتي وجلالي ما خلقتُ من خلقي خلقاً أحبَّ إليَّ من عبيد المؤمنين».

«النظر إلى الأخ تودُّه في الله عز وجل عبادة».

وعن الإمام الصادق (ع):

«مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنَ فَأَكْرَمَهُ فَإِنَّهُ مَا أَكْرَمَ إِلَّا عَزَّ وَجَلَّ».

«مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ مَرْحَبًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَرْحَبًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَخْضَعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَهَابُهُ كُلُّ شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ مُخْلِصًا، أَخَافَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى هَوَامُّ الْأَرْضِ وَسِبَاعُهَا وَطَيْرُ السَّمَاءِ، وَحَيْتَانِ الْبَحْرِ».

«الْمُؤْمِنُ أَكْثَرُ حَرَمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ». ►